ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (٣٣٥) / عبد الحليم الغزّي
أسئلةٌ ، أجوبةٌ ، صورٌ وحقائق من واقعنا الشيعي المَرجعي المُرجئي البتري العباسي التافه (ج٣٩)
اسئلة واجوبة (ق٢٥)
-تجارب الإقتراب من الموت (ق٥)
-كيف نحصّل على العقيدة السليمة ؟
-ابواب الوعي المهدوي
الخميس : ١٥/رجب/١٤٤٣هـ - الموافق ١٧/٢/٢٠٢٢م

لا زلتُ أقرأ عليكم من وصيَّة رسول الله صلَّى الله عليه وآله لأبي ذرّ: يَا أَبَا ذَرّ، إِذَا دَخَلَ النُّورُ القَلْب - إِنَّهُ نُورُ الحِكْمَة الَّتي تتجلَّى في القُلوب الَّتي زَهَدَت في هذه الدُّنيا، كُلُّ ذلكَ بتوفيقٍ من إمامِ زمانِنا - انْفَسَحَ القَلْب - كما يقولُ إمامنا الباقرُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه لأبي خالد الكابلي: (وَالله يَا أَبَا خَالد لَنُورُ الإِمَام فِي قُلُوبِ الْمُؤْمنينَ أَنْوَرُ منْ هَذه الشَّمْس الْمُضيئَة بِالنَّهَار)، هذا هو النُّور الَّذي يتحدَّثُ عنهُ رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله - انْفَسَحَ القَلْبُ وَاسْتَوْسَع، قُلْتُ: فَمَا عَلَامَةُ ذَلكَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله؟ - أبو ذرّ يقولُ للنَّبي الأعظم - قَالَ: الإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الخُلُود، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرُور، وَالاسْتعدَادُ للْمَوت قَبْلَ نُزُوله - هذه هي الآثارُ الَّتي تترتَّب على معرفتنا لقيمة الدُّنيا وسعرها، حينما نكونُ قد تشبّعنا بالمعايير الَّتي على أساسها نُقدِّرُ قيمةَ الدُّنيا، وهذا هو الزُّهدُ الَّذي يُورِثُ الحكمة، وليس هذا الَّذي يتظاهرُ به مراجعُ النَّجف وكربلاء كي يضحكوا على ذُقوننا، كي يضحكوا على الشيعة، الزُّهدُ الحقيقي هو هذا الَّذي يتحدَّثُ عنهُ رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وآله إنَّهُ المرحلةُ الثالثة من مراحل تَحقُّق العقيدة السليمة في العقول والقُلوب.

فَهُناكَ التعلُّمُ والتعليم، وهُناكَ المعايشةُ والمعاناةُ والمكابدةُ في أجواء خدمة إمامِ زماننا، هُناكَ الصَّبر، هُناكَ المصابرةُ، وهُناك المرابطة، وكُلُّ هذا يحتاجُ إلى معاناة إلى مُكابدة، إلى معايشة كي يُوفَّق الإنسانُ إلى أنْ يَصلَ إلى هذا المستوى: (إِذَا أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَبْد خَيْراً فَقَّهَهُ فِي الدِّيْن)، كي يصلَ إلى هذا المستوى.

أحاديثُ أهلِ البيت أخبرتنا؛ من أنَّ الله سُبحانهُ وتعالى إذا أرادَ بعبد خيراً بَصَّرَهُ بِعُيوبِ نَفسه، الطريقُ يبدأ من هُنا حينما نعرف عيوبنا، لأنَّنا إذا ما عرفنا عُيوبَنا استطعنا أنْ نُشَخِّص أخطاءنا، وموفَّقٌ ذلكَ الَّذي يستطيعُ أن ينتفعَ من أخطائه.

"إِذَا أَرَادَ اللهُ بِرَجُلٍ خَيْراً بَصَّرَهُ بِعُيوبِ نَفْسه، إِذَا أَرَادَ اللهُ بِرَجُلٍ خَيْراً بَصَّرَهُ بِعُيوبِ الدُّنْيَا"؛ تارةً يُبَصِّرهُ بدائها، وأخرى يُبَصِّرهُ بدائها ودوائها وهنيئاً لهُ، إنَّها الحكمةُ، قطعاً في مستوى من مستوياتها "إِذَا أَرَادَ اللهُ بِرَجُلٍ خَيْراً بَصَّرَهُ بِمَوَاضِعِ الشَّيْطَان"؛ وهنا أيضاً تارةً يُبَصِّرهُ بمواضعِ الشيطان وأساليبهُ وحيلَهُ ومكائدهُ، وتارةً يُبَصِّرهُ بمواضع الشيطان ويُبَصِّرهُ بالأساليب الَّتي يتخلَّص فيها من الشيطان، وتلكَ حكمةٌ عاليةٌ، قطعاً هي في مستوى من المستويات.

"إِذَا أَرَادَ اللهُ بِرَجُلٍ خَيْراً فَقَّهَهُ فِي الدِّيْن، إِذَا أَرَادَ اللهُ بِرَجُلٍ خَيْراً زَهَّدَهُ فِي الدُّنْيَا، إِذَا أَرَادَ اللهُ بِرَجُلٍ خَيْراً جَعَلَهُ عَلَى هَذَا الأَمْر"؛ أيُّ أمرٍ؟ معرفةُ إمامِ زماننا، مثلما يقولُ إمامنا الباقرُ لزرارة: (ذُرْوَةُ الأَمْرِ وَسَنَامُهُ وَمِفْتَاحُهُ وَبَابُ الأَشْيَاءِ وَرِضَا الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الطَّاعَةُ لِلإِمَامِ بَعْد مَعْرِفَتِه)، كُلُّ تلكَ المقدِّمات تُوصِلُنا إلى هذه الذُّروة.

كُلُّ ما تَقَدَّمَ يَقُودُنا إلى بوّابات تُفتَحُ أمامنا، هذه البوّاباتُ تختلفُ مَراتبها، فَكُلُّ بابٍ يدخلُ فيه داخلونَ بحسبِ مراتبِ عقولهم العقائديّة، بحسبِ منازلِ معرفتهم بإمامِ زمانهم، هذه البَوّاباتُ كُتبَ عليها: (بوّاباتُ الوعي المهدويّ).

الوعيُ المهدويُّ هو هذا الَّذي تتحدَّثُ عنهُ كُلُّ أدعيتهم وكُلُّ زياراتهم:

في دعاء يوم عرفة من مفاتيح الجنان: إِلَهِي حَقِّقْنِي - كيفَ يُحَقِّقُني؟ إنَّما يُحقِّقُني حينما يمتزجُ مضمونُ قلبي مع ظاهرهم وباطنهم، حينئذ أستطيعُ أنْ أُدْرِكَ ظاهرَ الدُّنيا وباطنها، وحينئذ سأكونُ حقيقةً، حينئذ سأكونُ مُستيقظاً لأنَّني إذا بَقيتُ مُلتصقاً بظاهر الدُّنيا فإنِّي نائمٌ، (النَّاسُ نيامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا)، وأكثرهم حينما يموتونَ ويذهبونَ إلى البرزخ يُقبرونَ في مقابرَ النوم، نيامٌ قبلَ الموت ونيامٌ بعدَ الموت، إلى متى هذا النوم؟ إلى متى؟! أكثرُ النَّاس بعدَ الموت يُدفَنُونَ في مقابر النوم.

- إِلَهِي حَقِّقْنِي بِحَقَائِقِ أَهْلِ القُرْبِ وَاسْلُكْ بِي مَسْلَكَ أَهْلِ الجَذْبِ - الَّذينَ جُذبوا إلى وجه الله، مثلما نقرأ في دعاء الندبة الشريف: (أَيْنَ وَجْهُ الله الَّذي إِلَيْه يَتوجهُ الأَوْلِيَاء)، هذا الوجهُ الجاذبُ للأولياء، هذه الحقائقُ تحتاجُ إلى مسار، هذا المسارُ يبدأ من التعلُّم والتعليم عبرَ المعايشة والمعاناة في أجواء خدمة بقيّة الله، إلى التوفيق، حيثُ تأتي الفقاهةُ من خارج، والزَّهادةُ من خارج، وحينئذ تتفجَّرُ الحكمةُ في القلوب ينابيعَ على الألسنة فصاحةً وبلاغةً وبياناً وسحراً، هؤلاء هم المحقَّقُونَ بحقائقِ أهلِ القُرب، وهُم السَّالكُونَ في مسالك أهل الجذب، إلى أن يقول الدُّعاء الشريف - أَنْتَ الَّذي أَشْرَقْتَ الأَنْوَارَ في قُلُوبِ أَوْلِيَائِك حَتَّى عَرَفُوكَ وَوَحَّدُوك، وَأَنْتَ الَّذي أَزَلْتَ الأَغْيَارَ - إنَّما يُزالُ الأغيارُ حينما تُزالُ الدُّنيا، وإنَّما تُزالُ الدُّنيا حينما نعرفُ قيمتها، وإنَّما نعرفُ قيمتها حينما نلتصقُ بنوريَّة كلامهم حيثُ نعرفُ المعاييرَ والموازين.

- وَأَنْتَ الَّذي أَزَلْتَ الأَغْيَارَ عَنْ قُلُوبِ أَحبَّائك حَتَّى لَمْ يُحبُّوا سِوَاك وَلَم يَلْجَؤوا إِلَى غَيْرِك أَنْتَ الْمُؤْنِسُ لَهُم حَيثُ أَوْحَشَتْهُم العَوَالم وَأَنْتَ الَّذي هَدَيْتَهُم حَيْثُ اسْتَبَانَت لَهُم الْمَعَالم، مَاذَا وَجدَ مَنْ فَقَدَك، وَمَا الَّذي فَقَدَ مَنْ وَجدَك، لَقَدْ خَابَ مَنْ رَضيَ دُونَكَ بَدَلاً، وَلَقَد خَسرَ من بَغَى عَنْكَ مُتَحَوِّلاً، أَنْتَ الْمُؤْنِسُ لَهُم حَيثُ أَوْحَشَتْهُم العَوَالم وَأَنْتَ الَّذي هَدَيْتَهُم حَيْثُ اسْتَبَانَت لَهُم الْمَعَالم - هذه الكلماتُ يُمكنُنا أنْ نُطبِّقها في جهة من جهاتها في بعض مضمونها على ما نتحدَّثُ عنه بخصوص تجارب الاقتراب من الموت، حيثُ وحشةٌ من عالَم الدُّنيا في ظاهرها، وحيثُ أُنْسٌ ممَّا يتجلَّى في باطنها حينما تكونُ البصيرةُ مُشرقةً في دواخلنا، حينما يكونُ الإيمانُ إيماناً مُتكاملاً بظاهرِ الأمرِ وباطنه، وحينما نغوصُ في أعماق هذه الدُّنيا عبر البصيرة كي نعرفَ قلَّةَ قيمتها من جهة، وعظَمةَ قيمتها من جهة أخرى، فمثلما هي دارٌ للمعصية وللبلاء، فهي متجرُ أولياء الله وهي دارُ عافية من الضلالة والغي والذُّنوب.

هذه المضامينُ العميقةُ والعميقةُ جِدّاً، أنا أقفُ عندَ شواطئها لأنَّني أُحدِّثُكم عن مستوىً ضحلٍ جِدّاً، أُحدِّثُكم عن تجارب الاقترابِ من الموت كما يُسمّونها، وإلَّا فهذه العبائرُ غائرةُ المعنى عميقةُ المضمون بعيدةُ الفحوى، إنَّما وقفتُ على شواطئها، وقفتُ على حواشي حُروفها أحاولُ أنْ أُقرِّبَ لكُم الصورةَ بقدرِ ما أستطيع من خلال هذه الـ هندسة العجيبة الغريبة في عبائرِ أدعيتهم ومن خلال هذا النَّظم الدقيق لـمُفردات هذه الحقائق في كلماتهم الشريفة.

في المناجاة السَّجّاديَّة الَّتي وردتنا عن إمامنا السَّجّاد صلواتُ الله عليه والَّتي تُعرَفُ (بمناجاة العارفين)، في مفاتيح الجنان، هُنا إمامنا السَّجّادُ في هذه المناجاة فَصَّل جانباً ممَّا جاءَ في أسرارِ دُعاء يوم عرفة: إِلَهِي فَاجْعَلْنَا منَ الَّذِيْنَ تَرَسَّخَت أَشْجَارُ الشَّوْقِ إِلَيْكَ في حَدَائِقِ صُدُورِهِم وَأَخَذَت لَوْعَةُ مَحَبَّتِكَ بِمَجَامعِ قُلُوبِهِم - ا لتعابير دقيقةٌ، لابُدَّ أنْ تكونَ هُناكَ حدائقُ في الصدور حتَّى تترسَّخَ فيها الأشجار، هذه الحدائقُ إنَّما تتكونُ من التعلُّم والتعليم، هذه البدايةُ لتهيئة الأرض، ثُمَّ تبدأ عمليَّةُ الزراعة وهي عمليَّةٌ شاقَّةٌ عبرَ الصَّبر والمصابرة والمرابطة، وهنا تبدأ الأشجارُ بالظهور كي تترسَّخَ في تلكَ الحدائق، متى ستُثْمِر؟ ستُثْمِر حينما

نعرفُ قيمةَ الدُّنيا ونتعامَلُ معها على هذا الأساس، حينئذٍ سَتُثمِرُ الأشجار، وإذا ما أثمرت وأينَعَت فإنَّنا سَنستَشعِرُ حلاوةَ الإيمانِ حينئذٍ، وسنتذوَّقُ لذيذَ المناجاة بعدها.

وإنَّما لوعةُ المحبّة هي لوعةُ محبّة إمامِ زماننا صلواتُ الله وسلامهُ عليه.

هكذا نُخاطبهُ في دُعاء النُّدبة الشريف، هكذا نُناجيه صلواتُ الله وسلامهُ عليه: لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ اسْتَقَرَّت بِكَ النَّوَى بَلْ أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّكَ أَوْ ثَرَى أَبِرَضْوَى أَوْ غَيرِهَا أَمْ ذِي طوَى - ذكرُ رضوى هَنا لم يأتِ جُزافاً، لأنَّ الإمامَ في اللحظات الأخيرة قبلَ ظُهوره سيكونُ في هذا الموضع هكذا حدَّثتنا الرِّوايات، وهنا سيأتي المصطفى والمرتضى كي يلتقيا بإمامِ زماننا، إلى أن يقولَ الدعاء - بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَازِحٍ مَا نَزَحَ عَنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ أُمْنِيَّةُ شَائِقٍ - الشائقُ هو المشتاق - بِنَفْسِي أَنْتَ أُمْنِيَّةُ شَائِقٍ يَتَمَنَّى مِنْ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَة ذَكَرَا فَحَنَّا.

جميلةٌ هذه العبارةُ: (بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَازِحٍ مَا نَزَحَ عَنَّا)، النَّازِحُ البَعيد، الدُّعاءُ هكذا يُعلِّمنا أنْ نعيشَ مع إمامِ زماننا، هذا الكلامُ يكونُ صادقاً إذا كانت القُلوبُ تعيشُ لوعةَ محبته.

مثلما نقرأ في المناجاة هُنا: إِلَهِي فَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ تَرَسَّخَت أَشْجَارُ الشَّوْقِ إِلَيْكَ فِي حَدَائِقِ صُدُورِهِم وَأَخَذَت لَوْعَةُ مَحَبَّتِكَ مِجَامِعَ قُلُوبِهِم، فَهُم إِلَى أَوْكَارِ الأَفْكَارِ يَأْوُونَ وَفِي رِيَاضِ القُرْبِ وَالمُكَاشَفَةِ يَرْتَعُونَ - هؤلاء يتجاوزونَ ظاهرَ الدُّنيا إلى باطنِها، ويتجاوزونَ باطنَ الدُّنيا إلى ما هُو أبعد، لكنَّني أقفُ عندَ هذه الحدود بسببِ محدوديَّة الموضوع الَّذي أتحدَّثُ عنه - وَمِنَ حِيَاضِ المَحَبَّةِ بِكَأْسِ المُلَاطَفَةِ يَكْرَعُونَ وَشَرَائِعَ المُصَافَاةِ يَرِدُونَ قَدْ كُشِفَ الغِطَاءُ عَنْ أَبْصَارِهِمَ وَانْجَلَت ظُلْمَةُ الرَّيْبِ عَنْ عَقَائِدِهِم - هكذا تتحقَّقُ العقائد، البدايةُ من التعلُّم والتعليم مُروراً بالمعايشة والمعاناة والمُكابدة في فناءِ خدمة إمامِ زماننا، وا نتقالاً إلى التوفيقِ وما التوفيقُ إلَّا من عنده صلواتُ الله عليه، التوفيقُ الَّذي يفتحُ لنا أبوابَ التفقُّه والتزهُّد والحكمة والينابيع المتفجِّرة من القُلوبِ على الألسنة - وَانْجَلَت ظُلْمَةُ الرَّيْبِ عَنْ عَقَائِدِهِم وَضَمَائِرِهِم وَانْتَفَت مُخَالَجَةُ الشَّكِّ عَنْ قُلُوبِهِم وَسَرَائِرِهِم وَانْشَرَحَت بِتَحْقِيقِ المَعْرِفَةِ صُدُورُهُمَ - لهذا السّبب أقولُ لكُم: من أنَّ أصحابَ تجارب الاقترابِ من الموت لم يطَّلعوا على شيء، هُم يتصوَّرونَ أنَّهم قد اطَّلعوا على شيءٍ عظيم بالمقايسة إلى ما كانوا عليه قبلَ هذه التجارب، الطَريقُ الَّذي يقودُ إلى عظائمِ الأمور، عظائمِ الحقائق هو هذا، وهذا لا يكونُ إلَّا عبرَ إمامِ زماننا الحُجَّةَ بن الحسن صلواتُ اللهُ وسلامهُ عليه.

- وَعَلَت لِسَبْقِ السَّعَادَةِ فِي الزَّهَادَةِ هِمَمُهُم - هذه الزَّهادةُ الَّتي تَحدَّثَ عنها رسولُ الله في وصيّته لأبي ذَرّ - وَعَذُبَ فِي مَعِينِ المُعَامَلَةِ شِرْبُهُم وَطَابَ فِي مَجْلِسِ الأُنْسِ سِرُّهُم وَأَمِنَ فِي مَوْطِنِ المَخَافَةِ سِرْبُهُم - سِرْبُهُم طريقهم - وَاطْمَأَنَّت بِالرُّجُوعِ إِلَى رَبِّ الأَرْبَابِ أَنْفُسُهُم وَتَيَقَّنَت بِالْفَوْزِ وَالفَلَاحِ أَرْوَاحُهُم وَقَرَّت بِالنَّظَرِ إِلَى مَحْبُوبِهِم أَعْيُنُهُم - أصحابُ تجارب الاقتراب من الموت لم ينالوا من هذا جُزءاً من واحد من التريليون، وهذا كثيرٌ بالنسبة للَّذي شاهدوهُ واطَّلعوا عليه، الحقائقُ هنا، والعظائمُ هنا، والعجائبُ هنا، هنا في فناء مُحمَّد وآل مُحمَّد صلواتُ الله عليهم.

المناجاةُ الشعبانيّةُ المرويّةُ عنهم صلواتُ الله عليهم، من مفاتيح الجنان، هذه الكلماتُ الَّتي سأقرؤها عليكم مهما أوتيتُ من بيانٍ ومهما امتلكتُ أنا أو غيري من الفصاحة والبلاغة، ومهما استطعتُ أنْ أُشَقِّقَ الكلامَ وأنْ أُفَتِّقَ الحديث وأنْ أبْقُرَ الحقائق، وأنْ وأنْ وأنْ فإنَّني لنْ أستطيعَ أنْ أُوضِّح مضمونَ هذه الكلمات.. مَاذا تقولُ المَناجاةُ الشعبانيةُ الشريفة؟!

إِلَهِي إِلَهِي هَبْ لِي كَمَالَ الانْقِطَاعِ إِلَيْكَ وَأَنِر أَبْصَارَ قُلُوبِنَا بِضِيَاءِ نَظَرِهَا إِلَيْكَ حَتَّى تَخْرِقَ أَبْصَارُ القُلُوبِ حُجُبَ النُّوْرِ فَتَصِلَ إِلَى مَعْدِنِ العَظَمَةِ وَتَصِيرَ أَرْوَاحُنا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدْسِك، إِلَهِي وَاجْعَلْنِي مِمَّنْ نَادَيْتَهُ فَأَجَابَكَ وَلَاحَظْتَهُ فَصَعِقَ لِجَلَالِك فَنَاجَيتَهُ سِرّاً وَعَمِلَ لَكَ جَهْراً - هذه الكلمةُ لوحدها لو كُنَّا نَعي لَصَعَقَت عُقُولنا، لكنَّنا لا نعي هذه الحقائق، كَانَ سَلْمَانُ مُحَدَّثاً عن إمامه، مُحدَّثاً عَن أمير المؤمنين.

إلى أن تقولَ المناجاة: إِلَهِي وَأَلْحِقْنِي بِنُورِ عِزِّكَ الأَبْهَجِ فَأَكُونَ لَكَ عَارِفاً وَعَنْ سِوَاكَ مُنْحَرِفاً وَمِنْكَ خَائِفاً مُرَاقِباً - أَلْحِقْنِي بِنُورِ عِزِّكَ الأَبْهَجِ؛ إنَّهُ فناءُ بقيَّة الله حيثُ يتجلَّى نُورُ الله في عزه الأبهج.

في دُعاء زيارة آل ياسين - اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّ رَحْمَتِك، وَكَلِمَةِ نُورِك، وَأَنْ تَمْلَأَ قَلْبِي نُورَ اليَقِين، وَصَدْرِي نُورَ الإِيْمَان، وَفِكْرِي نُورَ النِّيّات، وَعَزْمِي نُورَ العِلْم، وَقُوَّتِي نُورَ العَمَل، وَلِسَانِي نُورَ الصِّدْق، وَدِينِي نُورَ البَصَائِرِ مِنْ عِنْدِك، وَبَصَرِي نُورَ الضِّيَاء، وَسَمْعِي نُورَ الحِكْمَة، وَمَوَدَّتِي نُورَ المُوالَاة لِمُحَمَّدٍ وآلِه عَلَيهِمُ السَّلَام، حَتَّى أَلْقَاكَ وَقَدْ وَفَيْتُ بِعَهْدِكَ وَمِيثَاقِك - هذه المضامينُ جمعتَ كُلَّ الَّذي مرّ وفوقهُ وفوقهُ وفوقه، هذه المضامينُ لو انطبقت فإنَّ الإنسانَ يتحوَّلُ إلى كائنٍ نوريٍّ في كُلِّ اتجاهاته، ما تقدَّمَ ذكرهُ في دُعاء يوم عرفة، أو في مُناجاة العارفين، أو في المناجاة الشعبانيّة، كُلُّ المضامين العالية تتحدَّثُ عن تواصُلٍ فيما بين الإنسانِ وبينَ تلكَ الحقائق العظيمة، أمَّا هذا الدُّعاء فإنَّهُ يتحدَّثُ عن تمازجٍ فيما بينَ الإنسانِ وبينَ تلكَ الحقائق العظيمة، التواصلُ شيءٌ والتمازجُ شيءٌ آخر، التمازجُ يُصبحُ جزءاً منها وتُصبحُ جُزءاً منه، قطعاً مع وجود المائز في البين، فهو هو وهي هي، وإنَّما بحسبه بحسبِ وعائه وكم يتَّسع، وبحسبِ مرآته وماذا يتجلَّى فيها، إذا كانت المرآةُ صغيرةً فإنَّها لنْ تستطيعَ أن تَسَعَ الحقائقَ الكبيرةَ وإنَّما ستأخذُ ما تأخذُ بحسبها، وسيظهرُ ما يظهر فيها بحدود مقدارها.

• هُناكَ مُلاحظاتٌ لابُدَّ أن أُشيرَ إليها.

الملاحظةُ الأولى: يُفترضُ في بحث كهذا البحث أنْ تُصنَّفَ تجاربُ الاقترابِ من الموت الَّتي تتوفَّرُ بينَ أيدينا من خلال ما نُشرَ في الفضائيّات أو على الإنترنت أو في الكُتب، أن تُصنَّفَ على الأقلِّ من وجهة نظري لأنَّني أنا الَّذي أتحدَّثُ في هذا الموضوع في هذه الحلقات، أنْ تُصنَّفَ هذه التجارب على مجموعات بحسبِ مُستويات مضامينها، فإنَّ الَّذينَ عاشوا هذه التجارب لم يكونوا في مستوىً واحد، أتحدَّثُ عن مستوى ما شاهدوهُ وما سمعوه وما اطَّلعوا عليه، لا أتحدَّثُ عن مُستوياتهم الاجتماعيّة أو عن مستوياتهم الدراسيّة في ظاهرِ حياتنا الدُّنيويّة، فيُفترضُ في بحث كهذا البحث أن تُصنَّفَ تلكَ التجاربُ وفقاً لمجموعات، كُلُّ مجموعة في مُستوىً مُعيَّنٍ، وعلى الأقلِّ أنْ أتنا ول بالدرس تجربةً واحدةً أو تجربتين من كُلِّ مجموعة، أنْ أعرِضَ تلكَ التجاربَ بَينَ أيديكم وبعدَ ذلكَ أتناولُ مُفرداتها، لكنَّ هذا يحتاجُ إلى وقتٍ طويلٍ جدّاً..

مُلاحظةٌ ثانية: لابُدَّ أنْ نُميِّزَ بينَ تجارب الاقترابِ منَ الموت وبينَ حالات أُخرى حُشرت معها، هُناكَ حالاتٌ حَدثَ الموتُ فيها فعلاً، وبتدخُّلٍ من الإمامِ المعصوم صلوات الله عليه رجعَ الميتُ إلى الحياة، هذه القضيّةُ لا علاقةَ لها بتجارب الاقترابِ منَ الموت، وبحدود اطّلاعي فإنَّ الَّذينَ يعودونَ إلى الحياة من هذا الطريقِ لا يتذكَّرونَ التفاصيل، لا يتذكَّرونَ إلَّا شيئاً يَسيراً لا يُقايَسُ بالَّذي يتذكَّرهُ الَّذينَ عاشوا تجاربَ الاقترابِ منَ الموت، فلابُدَّ أن نُميزَ بينَ الحالات الَّتي تُعنونُ بتجاربِ الاقترابِ من الموت وبَينَ حالات تكونُ كالَّذي ذكَرتُ من أنَّ شخصاً يموتُ فعلاً ولكنَّهُ بتدخُّلٍ من الإمامِ المعصومِ يعودُ إلى الحياة بأمرِ الإمام، مثلما فعلَ عيسى وأحيا الموتى، فهذا الأمر لا علاقةَ لهُ بتجاربِ الاقترابِ منَ الموت.

قد يقولُ قائلٌ: وهل تحدثُ مثلُ هذه الحالات؟

أقولُ: نعم وحتَّى في زماننا هذا.

فهذه الحالاتُ لا علاقةَ لها بتجاربِ الاقترابِ من الموت.
كَذلكَ هُناكَ العديدُ من الحالاتِ حُشرت تحتَ هذا العنوان وهي في حقيقتها إذا أردتُ على الأقلِّ أنا من وجهة نظري فإنَّني أُصَنِّفها تحتَ عنوان (الأحلام)، أو تحت عنوان (المكاشَفات)، خُصوصاً أولئكَ الَّذينَ أُجريت لهم عـ مليّاتٌ جراحية وهم تحتَ البنج وشاهدوا مَا شاهدوا، ما شاهدوهُ فإنَّهُ يَقعُ تحتَ عنوانِ الأحلام، وتحتَ عنوانِ المكاشفات، فإنَّ صنفاً منَ المكاشفاتِ يكونُ في حالة النوم، يكونُ في حالة الغيبوبة، نحنُ عندنا أحلام، وعندنا رؤى، وعندنا منامات، وعندنا أطياف، وعندنا مُكاشفات، والمكاشَفاتُ على مراتبَ وعلى أنواع، وقد تحدَّثتُ عنها في الحلقات المتقدِّمة، فَهُناكَ مِن الحالات من حالات الأحلامِ ومن حالات المكاشفات أُقْحمت تحتَ هذا العنوان لابُدَّ من تمييزها.
بالضبطِ ما الَّذي جرىَ أو يجري عليهم؟!
تجاربُ الاقترابِ منَ ا لموت هي حالةُ وفاة من النوع الأوَّل من أنواع الوفاة، النوعُ الأوَّلُ من أنواع الوفاة انفصالُ الرّوح عن الجسدِ بدرجةٍ من الدرجات، الانفصال بسببِ صدمة، قد تكونُ نفسيّةً، قد تكونُ جسديَّةً، إلى بقيّة التفاصيل الَّتي مَرّ الحديثُ عنها.
بعدَ الانفصالِ فإنَّ الرّوحَ تخرجُ من حدودِ الوعي الحسّي التُرابي ويظهرُ فيها وعيٌ بدرجةٍ عاليةٍ بالقياسِ إلى وعيها حينما كانت حبيسةً في الظاهر الدَّنيوي التُرابي، فهي حالةُ وفاة والرّوحُ بمازِجُها وعيٌ بدرجةٍ عالية، لكن لابُدَّ أن نعرفَ من أنَّ الوَعي الَّذي وصَفتهُ بالعُلُو بالقياسِ إلى وعي تلكَ الرّوح في المستوى الحسي التُرابي، وإلَّا فإنَّ الأرواحَ الَّتي مَرّت بتجاربِ الاقترابِ منَ الموت ما شاهدتَ إلَّا حاشيةَ منَ الحقيقة، هُم يَجِدونَ ذَلكَ عظيماً بالقياسِ إلى ما يعرفونهُ قبلَ أن يمروا بتلكَ التجربة. نعم إذا أردنا أنْ نُقايسَ بَينَ ما يُدركُهُ الإنسان بوعيه الحسّي التُرابي وبينَ الَّذي أدركهُ هؤلاء في تجاربهم هُناكَ فارقٌ عظيم، بل لا وجهَ للمُقايسة، لكنَّنا إذا أردنا أن نقيسَ الَّذي شاهدوه وأن نقيس الَّذي عايشوه بحقيقة سعة باطن الدُّنيا فإنَّهم لم يُشاهدوا شيئاً.

- **سؤالٌ مُهمٌّ: ما الَّذي شاهدوه، ما الَّذي تواصلوا معه؟ بتعبيرٍ دقيقٍ: ما الَّذي لَمَسوهُ هُناكَ؟**

لقد كتبتُ مجموعةً نُقاطٍ تتحدَّثُ عن الَّذي لَمَسُوهُ هُناكَ حينما اخترقت أرواحهم حاجزَ الظاهر التُرابي للدُّنيا، وانتقلت إلى ما وراءَ هذا الحاجز:
أوّلاً - أدركوا ضآلة نفوسهم، وأدركوا قلَّةَ وجودهم، لقد أدركوا هذه الحقيقة بشكلٍ واضح إلى الحدّ الَّذي نَفذَ في كُلِّ كياناتهم، ولذا هيمنت عليهم الغفلةُ عن نُفوسهم وعن الاهتمامِ بشؤونها لمَا انشغلوا بعظمة ما شاهدوا، لقد شغلتهم عظمةُ ما شاهدوا.
ثانياً - أحسّوا وأدركوا حُريَّةَ الانعتاقِ من الجسد ومن عَالَم التُراب، وحُريَّةُ الانعتاقِ هذه إنَّما استشعروها في كُلِّ ذرّة من كيانهم، والتعبيرُ بالذرَّة تعبيرٌ قاصر، فالحديثُ هنا عن الأرواح، والأرواحُ لا تتشكَّلُ من الذرَّات، لكنَّ اللُّغةَ هي هذه للتعبيرِ عَن أصغرِ ما يُمكنُ أن يُعبَّرَ عَنه، حُريَّةُ الانعتاقِ من الجسدِ ومن زنزانة الظاهر التُرابي للدنيا تجعلُ الإنسانَ يستطعمُ حَقيقةَ الحياة، وهذا الاستطعامُ والتذوّقُ يكونُ داخلاً في كُلِّ كيانِ الإنسان، وكيانُ الإنسانِ هو في كيانِ رُوحه،
ثالثاً - لقد امتلكوا السرعة الحُرَّة والانتقالَ الحُرَّ عبرَ أنْ يذهبوا أو أنْ يُجاءَ إليهم، القضيّة ليست كالحالة الترابيّة أنْ يذهبَ الذَّاهبُ أو أنْ يَجيء الجائي، وإنَّما في الأفقِ الَّذي كانوا فيه تمتَّعوا بالسرعة الحُرَّة، إنَّها سُرعةٌ لا يُقَيدها الزَّمان ولا تحكمها المسافات، هذا أمرٌ لا يستشعرهُ إلَّا الَّذين عَاشوه، السرعةُ الحُرّةُ والانتقال الحُرّ في بعض الأحيانِ ينتقلونَ بكيانهم، وفي أحيانٍ أخرى الأشياءُ تنتقلُ إليهم كي تكونَ جُزءاً من كيانهم، في سُرعةٍ لا نستطيعُ أنْ نَتصوّرها إلَّا أن نعيشها، إنَّها السرعةُ الحُرَّةُ هكذا أُعَبِّر عنها، لا أجد تعبيراً أنسب من هذا التعبير.
رابعاً - أعظمُ لذَّة في كيانِ الإنسان لذَّةُ الذَّكاء هُناك، الذَّكاءُ الَّذي تفوقُ لذَّتهُ كُلَّ اللذَّات، لماذا؟ لأنَّ التواصُلَ معَ الغَيبِ عبْرَهُ إلى الحد الَّذي يتحقَّقُ الشعورُ بالقدرة على اختراقِ أيِّ شيء، إنَّهُ الذَّكاءُ الَّذي يَخترقُ كُلَّ شيءٍ أمَامهُ، كي يَطَّلعَ على ماضيه وحاضره ومُستقبله، وليسَ هُناكَ في ذلك الأفقِ من ماضٍ وحاضرٍ ومستقبل، إنَّها نُقطةٌ واحدة، وفي هذه النقطة تتجمعُ المضامينُ الَّتي نحنُ نُصنفها في الظاهرِ الدُّنيوي التُرابي إلى ماضٍ وحاضرٍ ومستقبل.
في باطن الدُّنيا هُناكَ نُقطةٌ واحدة، هُناكَ صَفحةٌ واحدة، صفحةٌ يُرسَمُ عليها الماضي والحاضر والمستقبل، وفي الآخرِ فإنَّ الَّذي تواصلوا معه هُو المادَّة الأوليّةُ لصناعة مرحلة الظهورِ في أعلى رتبها حينما نقتربُ من نهاية العصر القائمي الأوَّل لابتداء عصر الرَّجعة العظيمة، فهذه هي المادَّةُ الأوليَّةُ لصناعة عَصرِ الرّجعة العظيمة حيثُ يمتزجُ الظاهرُ الترابي للدُّنيا بعدَ أن يُخرِجَ التُرابُ كُلَّ كُنوزه تتجلَّى كُلُّ القُدُرات وكُلُّ الطَاقات، فحينما تَتجلَّى كُلُّ القُدرات وكُلُّ الطَاقات تُستنفذُ في الظاهر الدُّنيوي التُرابي، إخراجُ الأرض لكنوزها ليسَ الحديثُ فقط عن كُنوزٍ في بواطن الأرض، وإنَّما الحديثُ هُنا عن كُلِّ الكنوز في الظاهرِ التُرابي للدُّنيا، عن الكُنوزِ في الأشجار، وعن الكُنوزِ في المياه، وعن الكُنوزِ في أجسادنا، وعن الكُنوزِ في كُلِّ شيء في الظاهرِ التُرابي لهذه الدُّنيا، فبعدَ أنْ تُستنفذَ هذه الكُنوز ونحنُ نقتربُ شيئاً فشيئاً من آخرِ العصر القائمي وتبدأ الرَّجعةُ بالتجلّي وحينئذ ستظهرُ مادَّةُ عصرِ الرَّجْعة تلكَ الَّتي تواصلت معها الأرواح.
من هنا كانوا يعيشونَ حالةً في التواصُلِ معَ مادَّة ذلكَ الكون الَّذي تواصلوا معه يعيشونَ حالةً قريبةً من مستوى: (كُنْ فَيَكُون)، حينما يُريدونَ شيئاً كانَ يتحقَّقُ لهم بدرجةٍ من الدرجات من نفس مادَّةَ الكَونِ الَّتي توا صلوا معها وصاروا جُزءاً من ذلك الكون وصارَ الكَونُ جُزءاً منهم، إنَّها حالاتٌ لا تستطيعُ الكلماتُ أنْ تشرحها إلَّا أن يعيشها الإنسانُ بروحهِ وبِكُلِّ تفاصيلِ كيانِه كي يكونَ مُمتزجاً مع تفاصيلِ تلك الكينونة الَّتي تواصلوا معها في باطنِ عالَمنا الدُّنيوي هذا الَّذي نُعانقُ تُرابهُ ونُعانقُ ظاهرهُ الحسّي.
خامساً - انطلاقُ الحواس إلى أبعد حُدودها، فليسَ هُناكَ من حدٍّ للرؤية البصريّة، وليسَ هُناكَ من حدٍّ لحاسَّة السَّمع، فحينما تريدُ الروحُ أنْ ترى فإنَّ كُلَّ شيء سَيُفْتَحُ أمامها سترى وترى، من دون مسافات محدودة من دون حواجز، وهكذا حينما تسمعُ الرّوح في بعض الأحيانِ تمتزجُ الحواس فقد تستعملُ الروحُ حاسَّةً واحدة، وقد تستعملُ حاسّتين معاً في الوقتِ نفسه، اللونُ يكونُ مرئياً ومسموعاً في الوقت نفسه، الصَّوتُ يكونُ مسموعاً ويكونُ مرئياً ويكونُ مُذَاقاً بحاسَّة الذَّوق في بعض الأحيان، وقد تجتمعُ كُلُّ الحَواس، فَاللونُ يَكونُ مرئياً ويَكونُ مسموعاً ويكَونُ مَلْمُوساً ويكونُ مُذاقاً بالذَّوق وبِكُلِّ الحواس، لا أستطيعُ أنْ أُقرِّب لكم الفكرة إلَّا بحدود هذه التعابير الضيِّقة فعالمُ باطنِ الدُّنيا يختلفُ عن عالمِ ظاهرها.
النقطةُ السادسة - تلاشي الزَّمانِ والمَكان، إنَّها حالةٌ غريبةٌ! يتلاشى الزَّمانُ والمكان وتلكَ الكينونةُ يُصبِحُ الكائنُ الإنسانيّ بروحه جُزءاً منها وتُصبحُ جُزءاً منه، ولكنَّهُ يبقى هو هو وتبقى هي هي، أمّا التواصلُ فيبقى مُستمراً من دُونِ قيدِ زماني ومن دونِ قيدِ مكاني، فَربَّما على سبيلِ التقريبِ في ثانيةٍ يتحقَّقُ فيها ما يتحقَّقُ في سنواتٍ في الظاهرِ التُرابي للدُّنيا، وربَّما يكونُ ما هُو أعقدُ من ذلك، حينَ يمتزجُ ما هو كالزَّمانِ بما هو كالمكانِ فليسَ هُناكَ من قيودِ زمانٍ ومن قيودِ مكان، وإنَّما هُناكَ مكانٌ بحسبِ تلك الكينونة، وزمانٌ بحسبِ تلكَ الكينونة يُستشعرُ استشعاراً عبرَ الوعي المتجدِّد في الرّوح الَّتي تتواصلُ معَ باطنِ الدُّنيا وكَينُونَة ذلكَ الباطن.
سابعاً - الألوانُ، الروائحُ، الأصواتُ، الطعومُ موجودةٌ لكنَّها ليست كالَّتي في هذا الظاهرِ الدُّنيوي التُرابي، الطُعومُ لها ألوان والألوانُ لها طُعُوم، الروائحُ تُرى وتُسْمَع، والأصواتُ لها ألوانٌ ولها روائح، الأمورُ مُختلفةٌ جِدّاً، هذا ونحنُ نتحدَّثُ عن الدُّنيا، فكيفَ يكون الكلامُ عن جنان الآخرة (مَا لَا عَينٌ رَأت وَلَا أُذُنٌ سَمِعت - لا في ظاهر الدُّنيا ولا في باطنها - وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلبِ بَشَر).

ثامناً - وصولُ المعلومات، طريقةُ التفاهُم، أن يتفاهمَ الإنسانُ مع غيره، من الأناسي، من الملائكة، من الكائنات النُوريَّة، من الكائنات العظيمة الَّتي لا يَملكونَ حُروفاً ولا ألفاظاً للحديث عنها، وصولُ المعلومات، التفاهم، الفرح، الحُزنُ، الحُبّ، البُغْضُ هُناكَ شيء آخر، شيء آخر.

تاسعاً - الشعورُ بالسعادة لا وجهَ للمُقارنة فيما بينهُ وبينَ الشعورِ بالسعادة في ظاهر الدُّنيا، لا وجهَ للمُقارنة، ولن نستطيعَ أنْ نتصوَّرَ الشعورَ بالسعادة هُناكَ من خلال تَصوّرِنا للشعورِ بالسعادة هنا، إلَّا أن يفتحَ الإمامُ أبصارَنا وبصائرنا، حينَ يتحوَّلُ الإنسانُ كائناً نُورياً، الشعورُ بالسعادة، وكذلك الشعورُ بالبؤسِ والشقاء لا يُقايَس، لا يُقايَس بأيِّ وجه من الوجوه بما يشعر به الإنسانُ وهو يَعيشُ في الحدِّ الظاهري التُرابي لهذه الدُّنيا.

النقطةُ العاشرة: الجهاتُ تتبدَّل، الشرقُ يكونُ غرباً، والغربُ يكونُ شرقاً، أصلاً لا وجودَ لهذه المضامين، إنَّما أريدُ أنَ أُقَرِّبَ الفكرةَ بهذه التعابير، الجهاتُ تتبدَّل والقُربُ قد يكونُ بُعداً، والبعدُ قد يكونُ قُرباً، والقريبُ قد يكونُ قريباً وفي الوقت نفسه يَكونُ بعيداً، والبعيدُ قد يكونُ قريباً وفي الوقت نفسه يكونُ بعيداً، هذه المضامينُ تتداخل، تتداخلُ فيما بينها حتَّى تمتزج امتزاجاً عظيماً ثُمَّ تفترقُ وتفترقُ افتراقاً بعيداً، الجهاتُ تتبدَّل والقُربُ والبعدُ مفهومانِ لا علاقةَ لهما بمفهوم القُربِ والبعد في الوجه الظاهرِ التُرابي من حياتنا الدَّنيويّة.

هذا عرضٌ سريعٌ لمجموعة نُقاط أحببتُ أنْ أُشيرَ إليها لتقريبِ فكرةٍ ما الَّذي شاهدوه وما الَّذي تلمَّسوه حينما انفصلت أرواحهم عن أجسادهم بدرجة من الدرجات، واخترقوا الحاجزَ الظَاهري التُرابي من الدُّنيا، وولجوا إلَى حدٍّ ما في باطنِ الدُّنيا، إنَّها مادَّةُ عالم الظهورِ والرّجْعة، مثلما نُخاطبهم في زياراتهم: "منَ أنَّنا نُؤمنُ بظاهرهم وبا طنهم"، وظاهرهُم وباطنهم بحسبِ ما يتجلَّى في عالَمنا الدُّنيوي سيتجلَّى بنحوٍ واضحٍ في مرحلة الرّجْعة، وحينئذٍ سيتجلَّى ظاهر الدُّنيا مع باطنها، تلكَ هي تفاصيلُ دولة الحق، نحنُ نعيشُ في جولة الباطل، وجولةُ الباطل حدَّدها هذا الحدُّ التُرابيُّ المحدود، نستطيعُ أن نتجاوزهُ من خلالِ إمامِ زماننا أن يفتحَ منافذَ النُّورِ في أبصارنا وبصائرنا وقُلوبنا وعُقولنا مثلما قرأنا في دعاء زيارة آل ياسين.

حينما رجعوا ما الَّذي استخلصوه؟ ما الَّذي وصلوا إليه؟ في الأعمّ الأغلب للَّذينَ عاشوا نعيماً أو للَّذينَ عاشوا عذاباً، للَّذينَ عاشوا سعادةً أو للَّذينَ عاشوا بُؤساً وشقاءاً في تلك التجربة، والبعضُ منهم جمعَ بينَ الأمرين فقد استشعرَ السعادةَ في جانبٍ واستشعر الشقاء والبؤس في جانبٍ آخر.

الَّذي استخلصوه:

- أوَّلاً: ضآلةُ الدُّنيا، فالدُّنيا ضئيلةٌ وتافهةٌ، ولكن في الوقت نفسه بإمكانِ الإنسانِ أن يُحقِّقَ شيئاً عظيماً في هذه الدُّنيا رَغم ضآلتها ورَغم تفاهتها.
- ضآلةُ الإنسانِ نَفسه، فالإنسانُ ضَئيلٌ صغيرٌ لا قيمة لهُ بالقياسِ إلى العَظَمة الَّتي تلمَّسوها وتَحسَّسوها.
- تفاهةُ الحياة الَّتي يقتتلُ النَّاسُ عليها، بإمكانهم أنْ يُوظِّفُوها لشيءٍ أفضل ولذا كثيرونَ منهُم يقولونَ: من أنَّنا رجعنا ونحنُ نحملُ رسالةً جديدةً في الحياة.

هذه المضامينُ الَّتي وصلوا إليها إنَّها صُورٌ من الحكمة.

وفي الوقت نفسه استشعروا عظمةَ الغَيب هذا الغَيبُ الَّذي لا نشعرُ بقيمته، هُم تصوَّروا أنَّهم قد أدركوا الغَيبَ في أعظمِ مراتبه، هُم لم يدركوا شيئاً، ولكن بحسبِ ما أدركوا، فاستشعروا عظمةَ الغَيب.

واستشعروا جما لَ وجودهم وجمالَ خلْقَتهم، لقد عَرفوا لماذا خلقهم الله، هذا السؤالُ الَّذي يقضُّ مضاجعَ البشر: لماذا وُجِدْنَا؟ لماذا خُلِقْنا؟ لن نصلَ إلى الجوابِ ما لم نُدرِكَ العقائدَ بالبصيرة، أنْ نُدرِكَ العقائدَ بالكلامِ وبالتعلُّمِ والتعليم فإنَّنا لن نتذوَّقَ ط عمها الحقيقي، لابُدَّ أن نسبرَ غورها عبرَ البيانات الَّتي ذكرتُها لكم من خلالِ حقائقِ قرآنُهم المفسَّر بتفسيرهم وحقائقِ حديثهم المفهَّم بقواعدِ تفهيمهم، استشعروا الحكمةَ، عظيمَ الحكمة من وجودهم، لماذا خلقهم الله؟ وهُناكَ شيءٌ تكادُ أن تتَّفق كَلِمَاتُ هم عليه: ارتبطوا بالملائكة أو بكائنات نُوريَّة كما عَبَّروا عنها، أو بكائناتٍ منَ البشرِ لها مَا لها من المراتبِ العالية، أو بكائنات عظيمة مجهولة، والبعضُ منهُم يقولُ من أنَّ الله خاطبني، كَلَّمني منْ أنَّني كُنتُ قريباً من الله، قريباً منَ وجود الله، هكذا هم يتصوَّرون، لكن في النهاية فإنَّ كلامهم يصلُ إلَى نتيجةٍ واحدة، من أنَّ كائناتٍ عظيمةً هي الَّتي تتحكَّمُ بِكُلِّ شيء، كُلُّ واحدٍ يُعَبِّرُ عنها بالتعبير الَّذي يُناسبهُ، مداركُهم مُختلفة، مراتبهم العَقليّةُ مُتباينة، وهكذا في سائرِ تفاصيلِ وجودهم وما يتجلَّى في كياناتهم.

هذه خُلاصةٌ لما تَحدَّثَ به وتَحدَّثوا عنه أولئكَ الَّذينَ مَرّوا بتجارب الاقترابِ من الموت، قطعاً إنَّني شرحتُ مضامينَ كلامهم وقَرّبتُ أحاديثَهُم وأقوالَهم من خلالِ مضامين الروايات والأحاديث، فمازجتُ بينَ ما قالوا وقَرّ بتُ المضامينَ من خلال ما شرحت الرواياتُ والأحاديث فيما يرتبطُ بالجهات الَّتي تَحدَّثوا عنها، وَإلَّا فإنَّ أحاديثَ العترة الطاهرة حدَّثتنا عن الأعمقِ والأعمقِ والأعمق، ما تحدَّثوا به سيكونُ مزاحاً صَدِّقوني على الأقلِّ من وجهة نظري سيكونُ مزاحاً إذا ما أردتُ أنْ أُقايسهُ بأسرارِ قُرآنهم المفسَّرِ بتفسيرهم، وأسرارِ حديثهم المفهَّمِ بتفهيمهم، هذا بحدود معرفتي، فما بالكم إذا كانَ الَّذي يُحدِّثُكم يمتلكُ معرفةً أعظمَ بكثيرٍ من معرفتي القاصرة المقَصرة المحدودة الضيقة الَّتي لا تُعدُّ بشيءٍ أبداً، إذْ أنَّني عاجزٌ أمامَ الحقائق الَّتي قد قرأتُها عليكم قبلَ قليل من أدعيتهم ومُناجياتهم وزياراتهم الشريفة.

تجاربُ الاقترابِ منَ الموت يَكثُرُ الحديثُ عنها في كُلِّ أنحاء العالم، وبدأ المؤلِّفُونَ يُؤلِّفُون، وتَشكَّلت جمعيّاتٌ أعضاؤها من أصحابِ هذه التجارب في أكثرِ من دولة من دُولِ العالم، الجامعاتُ في الدول الغربيّة بدأت تُجري أبحاثاً حولَ هذه الحالات، وتَشَكَّلَ مركزٌ في الولاياتِ المتحدّة الأمريكيّة لمُتابعتها، الفضائيّاتُ والإعلامُ يتحدَّثُ عن هذه الحالات، الشبكةُ العنكبوتيّةُ قد انتشر ت فيها الفيديوات والتسجيلات والمطبوعات بخصوص هذا الموضوع.

هل في الماضي لم يَكُن مثلُ هذا؟!

بهذا الحجم وبهذه الكيفيّة وبهذا الانتشار نعم في الماضي لم يَكُن، إنَّني مُنذُ صغَري وأنا أقرأُ في كُتبِ المعاهد الرّوحيَّة وأقرأُ في الكُتب الَّتي تتحدَّثُ عن الأرواحِ وعن عالم الأرواحِ والأشباح، وعن التواصُلِ معَ هذا العالم، بغضّ النظر أكانوا صادقينَ، كاذبين، كُنتُ أقرأ هذه الكُتُبَ مُنذُ صباي، واطّلعتُ على كثيرٍ منها عبرَ السنين الطويلة في حياتي الثقافيّة والعلميّة، لكنَّني لم ألحظ كهذا الَّذي صارَ في هذه السنوات المتأخِّرة، مُنذُ عَقد من الزَّمان انتشرت هذه الظاهرةُ بشكلٍ غريب، مُنذُ عقد منَ الزَّمان ونصف العقد تقريباً، انتشرت في الإعلام، في الفضائيّات، في الإنترنت، في الكتبِ والمطبوعات، النَّاس يتحدَّثونَ عنها، لماذا كُلُّ هذا؟ كانت هُناكَ م نَ هذه التجاربِ في الماضي لكنَّها كانت محدودةً، هذه الكَثرةُ وهذه الكيفيّةُ في الانتشار وهذه الكيفيّةُ في الاهتمام!

- هُناكَ كثرةٌ.
- وهُناكَ كيفيّةٌ في الانتشار.
- وهُناكَ كيفيّةٌ في الاهتمام.

هذا لم يَحدُث في الأجيالِ الماضية، قد تقولونَ لماذا؟

إنَّني أُحدِّثُكم من وجهة نظري بحسبِ فهمي وقراءتي للتأريخ وقراءتي للواقعِ الإنساني الَّذي نعيشهُ: هذه إرهاصاتٌ للظهورِ وللرّجعة، إنَّني أجدُ ذلكَ قريباً مِمَّا جرى في واقعة أصحاب الكهف، أصحابُ الكهف بقوا في كهفهم ثلاثَ مئة من السنين وازدادوا تسعا، (٣٠٩) من السنين بقوا نياماً في كهفهم، فُجأةً استيقظوا، لماذا؟ لماذا لم يستمرّوا في نومهم؟! واستيقظوا لفترة وجيزة وعادوا إلى نومهم، قصَّةُ أصحاب الكهف قصَّةٌ عجيبةٌ.

سورةُ الكهف في الآية الحادية والعشرين بعدَ البسملة: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾، "أَعْثَرْنَا"؛ يعني أنَّ الله سبحانَهُ وتعالى هو الَّذي كَشَفَهم، وإلَّا كان بإمكان الَّذي ذهبَ منهم إلى المدينة لشراء طعامٍ لهم كانَ بإمكانه أن يَشتري الطعامَ وأنْ يعود، يُمكن بطريقة وأخرى، لكنَّ اللهَ رَسَمَ لَهُم برنامجاً أن يناموا ثلاثَ مئة من السنين وازدادوا تسعاً ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ - لماذا؟ - لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ - هذه اللام لامُ التعليل، ما بعدها يكونُ علَّةً لما قبلها، مَن الَّذينَ يعلمونَ؟ هل هُم أصحابُ الكهف؟ هُم جزء من الموضوع، لكنَّ الأصلَ في المو ضوع إنَّهَا الأُمَّةُ الَّتي كانت تعيشُ آنذاك والَّتي دخلت في مُشكلةٍ كَبيرةٍ في شكٍّ هَيمَنَ على الأُمَّة وعلى كِبارها قبلَ صغارها، في شَكٍّ في موضوع البَعث من أنَّ الإنسانَ يُبْعَثُ بعد موته.

حينما نقرأ في وصفهم في الآية الثالثة بعدَ العاشرة بعدَ البسملة من سورة الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.

الَّذينَ كانوا بحاجة إلى هذا الأُمَّةُ، ولذلك جاءَ التعبيرُ: ﴿أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾، أصحابُ الكهف ينتفعونَ بعمقِ بصيرتهم من هذا الَّذي جرى عليهم، ولكنَّ هذا في حاشية الموضوع، أَصلُ الموضوع الأُمَّةُ ولذا أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ، إذا كانَ الأمرُ خاصَّاً بأصحابِ الكهف فلماذا أعثرَ اللهُ عليهم؟ وإنَّما أعثرَ اللهُ عَلَيهم وجعلَ النَّاس يَعرفُونَ بأمرهم منَ الملوك إلى الرعيّة لأجلِ أنْ تتَّضحَ الحقيقة ولأجلِ أنْ تتلاشى الأصواتُ الَّتي تُشَكِّكُ بيوم القيامة، ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾، وأنَّ النَّاسَ سَيُبْعَثُون، يُبْعثُون مثلما بُعِثَ أصحابُ الكهف، وأهلُ المدينةِ عندهم عِلمٌ عندَ عُلمائهم، عندَ كُبرائهم عندهم عِلمٌ بالكهف وماذا جرى فيه، تَفاصيلُ الواقعة موجودةٌ.

فمثلما استيقظَ أصحابُ الكهف من نومهم لأجلِ أنْ تعودَ الأُمَّةُ إلى رُشدها، تجاربُ الاقترابِ من الموت ليسَ لأن نَعرفَ أنَّ هؤلاء على خيرٍ الَّذين مَرّوا بهذه التجارب، أو من أنَّهم على شرٍ، هَذه التجاربُ إنَّمَا كَثُرت واتَّسعَ أَمْرُها وانتشرت وفي كُلِّ الدِّيانات وفي كُلِّ الطوائف وفي كُلِّ الدول وفي كُلِّ الجنسيّات وكَثُرَ الحديثُ عنها إنَّها إرهاصاتُ مرحلة الظهورِ ومرحلة الرّجعة، الحكمةُ هي الحكمة واضحةٌ على الأقَلِّ من وجهة نظريَ تتَّفقونَ مَعي تختلفونَ معي أنتم أحرارٌ.

في (بصائر الدرجات) لشيخنا الصفَّار مُحمَّد بن الحسن من أصحابِ إمامنا الحَسن العسكريّ صلواتُ الله وسلامُهُ عليه/ طبعةُ مُؤسَّسة النعمان/ بيروت/ لبنان/ الصفحة التاسعة والثلاثين/ الحديثُ العاشر: بِسَنده، عَن أبي الصَّامت، عَن إمامنا الصَّادق صَلواتُ الله وَسَلامُه عَلَيه: إنَّ حَديثَنا صَعبٌ مُسْتَصْعَبٌ شَرِيفٌ كَرِيمٌ ذَكْوَانُ ذَكِيٌّ وَعِرٌ لَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مُؤْمِنٌ مُمْتَحَنٌ - وأكثرُ المَلائكة ليسوا مُقربين، وأكثرُ الأَنبياء لَيسوا مُرسلين، وأكثرُ المؤمنينَ ليسوا مُمتحنين، هؤلاء لا يحتملونَ حديثهم - قُلتُ - أبو الصَّامت يسأَلُ الإمامَ الصَّادق - قُلتُ: فَمَن يَحْتَمِلُهُ جُعِلْتُ فِدَاك؟ قَالَ: مَنْ شِئْنَا يَا أَبَا الصَّامت - مَنْ شِئْنَا.

- رُبَّما نَشاءُ أن يَحتملهُ مَلَكٌ منَ الملائكة المقرّبين ورُبَّما لا.

- أنْ يَحتملهُ نبيٌّ مُرسلٌ من الأنبياء المرسلين ورُبَّما لا.

- لا من الملائكة المقرَّبين ولا من الأنبياء المرسلين وإنَّما من شيعتنا منَ المؤمنينَ الَّذينَ امتُحنت قُلُوبهم.

"بِكُم فَتَحَ الله وَبِكُم يَختِمُ"، الأمرُ إليهم، كُلُّ شيءٍ يعودُ إليهم.